العلاقة بين السياب وبودلير في الالم والغربة

أ.د صدام فهد الاسدي

الالم نوع من الانتصار على الذات حتى وان كانت الظروف هي التي تخلق هذا الالم فليس بمقدور احدنا ان يفصل هذه الخلايا المتشابكة الممتزجة في وحدة موضوعية نابعة من الاعماق .

ولقد فطن الانسان الى هذه العلاقة وراح يمضي بعيداً عنها خوفاً من الوقوع في المأساة لأن استمرار الالم في الحياة يخلق مأساة دائمة .

غير ان الكثيرين اختارت لهم الحياة هذا الالم حتى يكون جزءاً من كيانهم لأنها كانت تعي طاقاتهم الداخلية العملاقة عن قرب وكانت تعرف الامكانيات والقوى التي يمتلكونها فأرادت ان تمنح البشرية عطاءاً صافياً مبدعاً جميلاً .

وليس الالم هنا هو المعاناة من شيء واحد فقط بل هو الاحساس الداخلي بمرارة جميع الاشياء الميتة التي نصادفها في الحياة كالتشرد والضياع والغربة والشوق والعزلة والانتكاس والمرض والذبول والموت والانكسار والخذلان .

اذن الالم من زاوية اخرى هو احساس جامح لجميع الاحاسيس الاخرى التي نشعر بمرارتها على الدوام فالإحساس بانتهاء الربيع يرافقه الم والاحساس بولادة الخريف يرافقه الم والاحساس بموت انسان يرافقه الم والاحساس بفقدان شيء يرافقه الم والاحساس بأكسار شيء يرافقه الم والاحساس بذبول زهرة يرافقه الم والاحساس

بانهزام حق يرافقه الم والاحساس بانتصار ظلم يرافقه الم وقد قال احد الفلاسفة (ان الالم اكبر مطهر للنفوس) ولعل هذه الصفة اتضحت اكثر وبانت جميع ملامحها لدى الكثير من الشعراء والكتاب والفنانين لأنهم اصحاب نفوس رهيفة ومشاعر رقيقة واحلام خضراء على الدوام والحديث عن الالم والغربة عند شاعرين كبيرين ومهمين لهما وقعهما النفسي والحضاري على حركة الشعر والشعراء في العالم كبودلير والسياب حديث لا يخلو من الصعوبة والمجازفة ومطاردة الافكار لغرض الامساك بها وتدوينها على الورق لأن الالم والغربة كانا عاملين اساسيين ومبدأين من مبادئ حياة هذين الشاعرين لقد عاش الاثنان تجربة طفولية متشابهة وكانت تجربة مؤلمة وقاسية وشديدة عانيا منها معاناة كبيرة تركت اثارها على حياتها في المستقبل ونحن نعلم ما للطفولة من تأثير على شخصية الانسان وبناءها .

فقد عانيا من فقدان الاب والام وهما في سن السادسة الا ان فقدان الام بالنسبة لبودلير كان نسبيا حيث لم تكن امه ميتة بل تزوجت بعد وفاة ابيه من شخص اخر وهذا ما جعلهما بعيدين عن بعض (وقد وقع هذا لزواج العاجل على بودلير وقع الكارثة فرأى فيه خيانة اليمة)[1] وكذلك السياب لم يكن ابوه ميتاً بل تزوج بعد وفاة امه من امرأة اخرى مما دفعه الى الاعتقاد (بأن اباه قد اساء الى علاقة مقدسة بزواج ثان وشغل بزوجه الجديدة عن اطفاله فدفع بالطفل الى مزيد من التعلق بعرق الثرى وفترت علاقته بوالده الذي يمثل الجحود والعصا وصوت المؤدب ومضى

[1] -

يبحث عن امه فوجد صورتها وقلبها الطيب في جدته)[٢] فبودلير يقول في كتاب الى امه في الاول من كانون الثاني سنة ١٨٦١ بمناسبة صدور الطبعة الثانية من كتابه ازهار الشر (لأول مرة في حياتي اكاد اكون مسروراً فالكتاب يكاد يكون جيداً وانه سيبقى شاهداً على اشمئزازي وبغضي كل شيء) [٣] وهذا دليل قاطع على ان بودلير كان يشعر بمرارة الاشياء ويكاد يبغض كل شيء ويشمئز من جميع الموجودات لأنه توصل الى اكتشاف نقطة الالم العميقة التي تغلف الاشياء .

وتحدث الى امة ثانية في كتاب في ٦ايار سنة ١٨٦١ وكان اكثر صراحة وحدة وهو يفصح عن روح مفعمة بالقلق والضياع / أتراني اقوى بعد على ان افتح لك نفسي هذه النفسي التي ما قدرتها ابدا ولا عرفتها اكتب هذا بلا تردد لأني موقن بصحته ، اصغي الي بلا خوف لقد عرفت في طفولتي فترة حب جارف لك انني ما ازال اذكر النزهة التي قمنا بها معاً في العربة واذكر الارصفة التي كانت تبدو لي حزينة عند المساء لقد كنت دائماً حياً فيك وكنت لي وحدي وكنت معبودة ورفيقة في ان واحد لعلك تدهشين كيف انني اتكلم بهذه الحمية عن زمن طال عهده ولا غرد فأنه ليدهشني انا كذلك ولعلك الاشياء القديمة ترتسم جلية في ذهني لأني تمنيت الموت في ذات يوم / [٤] لا اعتقد بأننا نستطيع العثور على ادلة وبراهين اكثر من هذه ترسم لنا بوضوح طبيعة العلاقة التي كانت تربط بودلير بأمه وطبيعة الحياة القاسية المؤلمة التي كان يعيشها الرجل انه يذوي حباً وشوقاً الى تلك النزهات

---

[٢] -
[٣] -
[٤] -

ويموت حنيناً وشوقاً في امه حتى جعلها المعبودة والمحبوبة والرفيقة ولكنه مع هذا الحب يشعر بالحزن الذي راوده جعله يتمنى الموت ذات يوم وهو لم يتردد في في الافصاح عن هذه الفكرة المخيفة التي تمثل اقصى غايات اليأس فهو يتذوق العدم من خلال معاناته التي يعيشها ويرحب بالموت كحل وحيد للهروب من الازمة

وداعاً اذا يا اناشيد النحاس

يا زفرات الناي

لا تجرحي بي يا ملذات قلباً مظلماً مستاءً

الربيع الجدير بالعبادة فقد عطره

والدهر يغرقني لحظة لحظه

كما يغرق الثلج الفسيح جسداً اخذ يتصلب

يا وابل الثلوج هل لك ان تجرني في سقوطك

انه يتمنى الموت علانية لعله يهرب من هذه التجربة القاسية التي حاكتها له الحياة لكنه حتى في داخل الموت يرى هذا الالم ويلاحظه بوضوح تام فيصرخ مبتعداً لعله يدرك املاً جديداً في الحياة كان الالم يسرقه بعيداً حتى مع الموت وقد بين ذلك في احدى قصائده حيث يقول :

الموتى ، الموتى المساكين يتألمون شديد الالم

وعندما يعصف تشرين ويقلع الاشجار القديمة

بريحته الكئيبة حول رخام الضرائح

لابد وان يجد الاحياء ناكري الجميل

اذ ينامون كما ينامون بدفء الحفتهم

بينما هم وقد افترستهم سود الاحلام

دون رفيق سرير ، ودونما سمر

يشعرون بثلج الشتاء يتقطر

والدهر يجري ولا صديق ولا عائلة

في هذه المقطوعة يبين الغربة القاسية والوحدة المريرة التي يعيشها الاموات طوال هذه السنين التي ليس لها عدد وهم يعيشون حياة غريبة ومجهولة كونهم انتقلوا الى مرحلة اخرى في حياة الانسان لا يستطيع الاحياء ادراكها او فهمها يعترف بودلير بأنه احسن منذ الصغر بميل الى الانفراد (اميل الى الانفراد منذ الحداثة : رغم العائلة – وغالباً بين رفقائي – احساس بان مصيري الوحدة) [٥] ليست الغربة بالمفهوم الشائع لدى الناس الابتعاد عن الاهل والاصدقاء والعيش في مدينة اخرى بعيدة عن مدينة الاهل والاصدقاء فالغربة قد تكون مع الذات في تطابق مستمر وقد يشعر الانسان في الغربة حتى وهو بين اهله واصدقائه فهنالك نوعان من الغربة هما الغربة المكانية وهي الابتعاد عن الاهل والغربة الذاتية وهي الابتعاد عن الذات وهذا ما لمسه بودلير بنفسه فقد اشار الى وجود تجربتين ذاتيتين يعيشهما الانسان في ذات الوقت هذين التجربتين بمثابة خط انطلاق يبدأ منه الانسان في معايشة الحياة والواقع / في كل امرئ في كل ساعة ، نداءان متلازمان ، واحد نحو الله والاخر نحو الشيطان فالتوسل الى الله او الروحانية هو لذة الارتقاء والتوسل الى الشيطان او البهيمية هو لذة الانحدار والى هذا التوسل الاخير ينبغي ان ينسب حب النساء والاحاديث الحميمية مع البهائم والكلاب والهررة /[٦]

فالغربة التي كان يعيشها جعلته يكتب بإحساس وصدق عن كل الذي يراه في الحياة وهو على وفق هذا التقسيم يعيش التجربة الانغماسية في الملذات والشهوات كحل

- ٥
- ٦

للهروب من الازمة وهو يصرح بان هذا احساس داخلي لا يستطيع المرء التخلص منه بسهولة لذلك قد نراه هرع الى تصوير العلاقات الانسانية الشائكة وكتب قصائد عن المجون والخلاعة كتعبير لتدوين الذات وقد ساعدته الغربة الذاتية التي عاشها على تصوير مجالات واسعة في الحياة جعلت منه شاعرا من الدرجة الاولى وهو يرفض التجزئة ويقول ان الشاعر يستطيع التحدث عن كل شيء (من يعجز عن وصف أي شيء ، القصور والخرائب ، شواعر الحنان والضراوة ، العواطف العائلية المحدودة والمحبة الانسانية الشاملة ، روعة الثبات وعجائب العمارة ، الجميل والقبيح وجوهر الاديان وظاهرها و وجه كل امة المعنوي والطبيعي واخيرا من المنظور الى اللامنظور من السماء الى الجحيم ، فانه ليس شاعراً بحسب مشيئة الله انك تقول عن هذا (شاعر بواطن) او (شاعر العائلة) وعن ذاك (شاعر الحب) وعن ذلك (شاعر المجد) لكن بأي حق تحدد نطاق ابداع كل منهم . اتريد ان تؤكد ان من تعني لئن شئت ان لا تسمح الا ما يصدر عن شاعر حصرته الظروف المستقلة عن ارادته في اختصاص معين فأخالك تتحدث عن شاعر مسكين شاعر ناقص مهما تفوق في نطاقه)[٧] لقد اسبغ مكانة كبيرة على الشاعر وجعله بمنزلة موازية لمنزلة الكاهن والجندي (لا كبير بين الناس الا الشاعر والكاهن الرجل الذي ينشد والرجل الذي يبارك والرجل الذي يضحي بذاته) [٨] فقضية الشعر لديه اذن قضية مصير و وجود وحياة وليست مجرد هواية او ترفيه عن النفس (كن شاعراً دوماً حتى ولو في النثر) [٩] دائماً شاعرا لأن الشعر بحسب مفهوم بودلير يحمل طابعا عالميا مسلم به الجيل الجديد ولم يكن مسلما به تماما منذ قرن .

ولكنه بالرغم احساسه بروعة الحياة وعذوبتها كان احساسه بالالم والغربة يفوق ذلك ويطغى على الواقع الجميل واقع اخر مليء بالمرارة والعذاب والغربة :

---

٧ -
٨ -
٩ -

يا ألم يا الم الدهر يأكل الحياة

والعدو الخفي الذي يقرض منا القلب

ينمو ويقوي من الدم الذي نفقد

ان الميل الى العدم الذي ابداه غير مره في اشعاره او رسائله قد يناقض توقه الى الخلاص الابدي الذي يعبر عنه في يومياته والواقع ان كلا الامرين متوازيان عنده ويعبران عن طموح الى التخلص بأية وسيلة من وضع لا يطاق وعن رغبة هو جاء في الخروج على ذاته لكسر نطاق الغربة الذي يعيشه

هلا عرفت مثلي الالم العذب

وحملت على القول عنك (يا له من رجل غريب) اوشكت ان اموت

في نفسي العاشقة كان امل ممزوج بالهول مرض خاص

قلق وامل حاد ولا ميل للتعصب

كلما فرغت مرمدة القدر اشتد عذابي واحلو لي

وانفصل قلبي كله عن العالم الاليف

كنت كالولد النهم الى المشاهد يكره الستار كما تكره العقبة

وانكشفت اخيرا الحقيقة الباردة

كنت ميتا دون مفاجأة والفجر الهائل كان يلفني – ماذا اليس غير هذا

رفع الستار وما زلت انتظر

فالموت هنا ليس الا انتظاراً بل هو صورة من صور الموت الكثيرة التي تتردد دوماً عند بودلير ولعله هروب من الالم والغربة اللتين كان يعيشهما الموت الذي يعزي وا أسفاه ويبعث على الحياة

انه غاية الحياة وانه الامل الوحيد

الذي يصعد فينا ويثلمنا مثل اكسير

ويمنحنا الشجاعة على السير حتى الغروب

جعلته الالام التي عاشها يفصح عن اكثر امنياته خطورة وهي الموت هذا الحاجز اللامرئي المخيف الذي يفصل بين الحياة والعدم فهو يحاول الابحار مع الموت ظناً منه ان التجربة ربما تكون ايسر واسهل من تجربة الحياة التي عانى فيها الالم والغربة فالموت قبطان يبرح معه الى عالم اكثر غرابة وعذوبة

يا موت ايها القبطان العجوز

آن الاوان فلنرفع المرساة

هذا البلد يبعث فينا الضجر

ايها الموت فلنقلع

هكذا يمكن ان نرسم صورة واضحة ودقيقة الملامح عن مفهوم الغربة والالم التي كان يعيشها بودلير فقد كان يرى نفسه رؤية واضحة خالية من التشويش والتعقيد والرمزية

ان الجرح والسكين !

انا الصفعة والوجنة !

انا الاعضاء والدولاب !

والضحية والجلاد

وهل لنا ان نتساءل من ماذا كان يعاني الرجل ؟ لماذا كان هو الجرح والسكين ؟ ولماذا كان هو الصفعة والوجنة ؟ ولماذا كان هو الاعضاء والدولاب ؟ ولماذا كان هو الضحية والجلاد ؟

كان كل هذا لأنه كان يعيش مرارة التجربة في نفس الوقت ، كان يعيش مرارة الجرح والم السكين ، كان يعيش هول الصفعة والم الوجنة كان يعيش خوف الاعضاء ودوران الدولاب ، كان يعيش خوف الضحية وقساوة الجلاد ولم يكن على خطأ حين قال (ان روحي قبر) [١٠] فليس هنالك مكان اظلم واقتم واوحش وارعب واغرب من القبر ولنا ان نتصور ذلك ! .

بدر شاكر السياب

اما السياب فقد اتخذ جرحه شكل الارض ذاتها ممتزجا معه في وحدة مصيرية لم يكن الخلاص منها ابداً حتى بالموت بوصفه نهاية الذات او نقطة انتهاء التجربة التي يعيشها الانسان

فقد عاش الالام التمزق والغربة والتشتت (وعانى من اقسى ازمة ضمير عاناها شاعر عربي معاصر) [١١] و ورد اول تعليق له عن الغربة والحرمان حيث قال في حديث له (فقدت امي وما زلت طفلا صغيرا فنشأت محروما من عطف المرأة وحنانها) [١٢] وكان يفتقر الى علاقة راسخة مع ابيه مما رسخ الغربة في ذاته و روحه اكثر :

ابي منه جردتني النساء وامي طواها الردى المعجل

لكن الرجل يذهب الى رسم صورة ادق من ذلك وابعد بكثير حيث تتضمن فقدانه لحنان ابيه وغربته في نفسه والتي يرسم فيها ابيه كالضباب الذي لا يشبه شيء

---

١٠ -
١١ -
١٢ -

ذراعا ابي تلقيان الظلال على روحي المستهام الغريب

سينهار عن مقلتيك الجدار وتفنى ذراعا ابي كالضباب

ليندك هذا الجدار الرهيب وتندك حتى ذراعا ابي

ويحاول استرجاع ذكرياته كمحاولة للتسلية واضفاء الطمأنينة على الروح المجروحة الحالمة لكنه يفاجئ بأن تلك الذكريات تحمل من الالام والمواجع ما يجعله يشعر بخيبة الماضي والحاضر والالام الحياة المتدفقة التي لا تقف عند حد معين ولا تقتنع بمستوى ثابت ولعل الاشارة الى الخريف هي اشارة واضحة الى الذبول والتساقط والموت :

في ليالي الخريف

حين اصغي ولا شيء غير الحفيف

ناحلا كأنتحاب السجين

خاف ان يوقظ القائمين

فأنتحى في الظلام

يرقب الانجم النائيات

حجبتها بقايا غمام

فأستبدت به الذكريات

الغناء البعيد البعيد

في ليالي الحصاد

اوجه النسوة الجائعات

يسلب البائس الرقاد

كل شيء مسجون ومقيد الانسان مسجون والاحلام مسجونة والحياة عبارة عن سجن كبير فمع تدفق الذكريات تتدفق المأساة ذاتها ويعلو رنين الحديد ليحكم اغلاق كل شيء حتى المنافذ والاحلام ويسلب من الانسان البائس الذي يبحث عن الخلاص حتى الرقاد ويبقى الانسان مستيقظاً في معايشة مأساته والامه فكان صورة صادقة في التعبير عن الام واحلام ومعاناة الاخرين حيث عكست اشعاره الواقع الاجتماعي الذي كانت تحكمه (ظروف التخلف والعبودية وشيوع الفساد واسهم بشعره في وثبة عام ١٩٤٨ وانه بعد انتهاء احداث هذه الوثبة قضى فترة في السجن خرج بعدها ليجد نفسه وحيداً تتقاذفه المقاهي والفنادق فقد كان فصل من عمله كمدرس وغامر بالسفر الى ايران والكويت فعانى مرارة الغربة وذلك الحاجة معاناة تعكسها قصيدته (غريب على الخليج) التي تغنى الدارس عن ايما تفصيل عن اوضاع هذا الانسان واشواقه خلال غربته) [١٣]وكان عذاب لسجن والتشريد عاملا مهما من عوامل استيقاظ الغربة والالم في روح الشاعر لأنهما اقسى تجربة بشرية يعيشها الانسان وهذا ما جعله يسخط على العالم بأجمعه لأن مرارة التجربة خرجت من الاعماق وغمرت طعم الفم بالمرارة والعذاب فنراه يتحدث في قصيدة (المخبر)ويقول :

سحقاً لهذا الكون اجمع وليحل به الدمار

مالي وما للناس لست ابا لكل الجائعين

انس الجريمة بالجريمة والضحية بالضحايا

لا تمسح الدم عن يديك فلا تراه وتستطير

سحقا لهذا الكون اجمع وليحل به الدمار

ان نغمته جاءت على العالم بأجمعه لأنه من خلال دفاعه عن الانسان واضطهده الانسان من خلال رسمه لملامح عذاب الانسان عذبه الانسان نفسه ومن خلال محاولته لكسر قيود الانسان سجنه الانسان نفسه فكانت نقمته تتردد على لسان

[١٣] -

ابطاله من المحرومين والمسلوبين والمقهورين والضعفاء فلسان (المومس العمياء) يقول :

ليت النجوم تخر كالفحم المطفأ والسماء

ركام قار او رماد والعواصف والسيول

تدك راسية الجبال ولا تخلف في المدينة من بناء

اين يمكن ان نجد الاماً وغربة اقسى وابشع من هذه الالام والغربة التي تسبغ روح السياب وهو ذلك الانسان الرقيق المرهف الذي يصور عذابات الانسان بوضوح ليس له مثيل :

من ذا الذي يسمع اشعاري

فان صمت الموت في داري

نزع ولا موت نطق ولا صوت طلق ولا ميلاد

من يصلب الشاعر في بغداد

من يشتري كفيه او مقلتيه

من يجعل الاكليل شوكا عليه

لا احد يسمع هذه الصرخة المخنوقة في اعماق هذا الانسان الشاعر لا احد يفطن الى هذا الموت المخيم على حياة هذه الروح النبيلة فالمسألة اكبر من ان تحتمل انه صراع بين الموت والحياة صراع بين الصمت والصراخ صراع بين المخاض واللاشيء ان الالم يصلب الشاعر مثل المسيح ولكن ليس هنالك من يشتري اوصاله الممزقة لعله يحتفظ بها بعيدا عن التفسخ فربما عادت له الحياة من جديد ليس للألم حد وليس للغربة قياس حيث يقول في قصيدة (في يوم عابس)

ماذا جنيت من الزمان سوى الكآبة والنحول

او ارقب الليل الطويل يذوب في الصبح الطويل

واتابع الشمس المرنحة الشعاع الى الافول

واشيع البدر السؤوم يغيب ما بين النخيل

لا مأمل لي بالكثير ولا رجاء بالقليل

واعد ايامي لأسلمها الى الهم الثقيل

واسرح الطرف الكئيب من التلال الى السهول

واصعد الآهات دامية وامعن في العويل

ضاقت بي الدنيا وضقت بها كأني في رحيل

في وهدة قفراء بح بجوها صوت الدليل

فالصور هنا ليست بحاجة لتوضيح لأنها تفصح عن روح مفعمة بالألم حد التخمة وغارقة باليأس والغربة حتى الاذنيين وما يعنيه من خلالها الشاعر يؤكد حجم المعاناة الكبيرة التي يعيشها كإنسان لم يجن من الزمن غير الالم والعذاب والضياع والنحول واافول والعويل والرحيل والهم الثقيل حتى احلام الشاعر لم تكن خالية من الالم والغربة فهو يتصور نفسه وحيداً وغريبا وميتاً وقد كتب في رسالة لصديقه الشاعر خالد الشواف (ضباب شفيف ترقص فيه مقبرة القرية ، كأنها فوق جناح جريح ؟، ينقصه الشوق الى موضع خلال التلال ثم يركن الرقص الى سكون كئيب يحتضنه الغبش الحزين وهناك عند السدرة النائمة قبر مستوحد غريب رايت اني راقد فيه تحت الحصى والتراب في ظلمة بلهاء ما اسعفها لون من الالوان يكاد ثقل الثرى يخنقني خنقاً لكنني من برجي الدامس استشرق الدنيا يدغدغها الربيع الباكر فأهتف من اعماق اللحد البارد رباه افي الربيع النضير يطويني القبر ؟ ! [١٤] .

[١٤] -

حتى في احلامه غدت غريبة وغير مألوفة لشدة ارتباطها بالألم والغربة والموت فالموت عامل اساسي من عوامل وادوات الشاعر :

الداء يثلج راحتي ويطفئ الغد في خيالي

ويشل انفاسي ويطلقها كأنفاس الذبال

تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال

مشدودتين الى الظلام القبر بالدم والسعال

واحسرتا اكذا اموت كما يجف ندى الصباح

ما كاد يلمح بين افواف الزنابق والاقاحي

حتى تلاشى في الهواء كأنه خفق الجناح

غير ان الغربة التي عاشها بعيدا عن اهله وبلاده جعلته يتحدث بروح مجروحة تقطر دماً وشوقاً شفافاً عذباً كأنه ضوء الشمس الذي يتسرب من بين الاصابع وينفذ الى الروح حتى يتأجج الحنين الى البلاد البعيدة لأنها الامل والخلاص والمستقبل

الشمس اجمل في بلادي من سواها والظلام

حتى الظلام هناك اجمل فهو يحتضن العراق

واحسرتاه متى انام

فأحس ان على الوسادة

من ليلك الصيفي ظلا فيه عطرك يا عراق

لقد اخذت منه الالام محل وصارت جزءاً من حياته حتى انه في محاولة يائسة ينادي امه الميته باثاً اوجاعه والامه ورعبه

اه يا امي عرفت الجوع والالام والرعبا

لكنه يتسأل في حيرة مدهشة عن مصير الانسان المخنوق الذي يتلاشى كالسراب دون ان يشعر بقيمة الحياة المعنوية التي تنزلق من بين يديه ببساطة شديدة

اهكذا السنون تذهب اهكذا الحياة تنضب

احس انني اذوب اتعب اموت كالشجر

أي موت مؤلم هذا الي يفتك بالانسان بحيث يقضي عليه دون ان يعي ذلك الموت لأنه يخترقه من الداخل كما يخترق الموت الجذور ويجعل الاشجار يابسه دون حياة

منطرحاً اصيح انهش الحجار اريد ان اموت يا اله

لكنه يرجع الى نفسه قليلاً ويجري حوارا من الله يسأله فيه عن غاية الحياة والفناء ويتسأل بدمعة مخنوقة عن السبب الذي يجعله حطاماً دون موت وعن ذلك السبب الذي يصبغ حياته بالقتام والالم مثل سفينة مثقوبة على سطح الماء لا يدركها الغرق فتستقر في الاعماق بأطمئنان الى الابد او تعين نفسها على الابحار ثانية دون خوف وفي نهاية حواره المؤلم يطلب من الله الموت لأنه بحاجة ماسة جداً الى النوم لعله يجد فيه عزائه الاخير بين اهله وامه :

اليس يكفي ايها الاله ان الفناء غاية الحياة

فتصبغ الحياة بالقتام تحيلني بلا ردى حطام

سفينة كسيرة تطفو على الحياة

هات الردى اريد ان انام

بين قبور اهلي المبعثرة وراء ليل المقبرة

رصاصة الرحمة يا اله

ويرتدي ثيابه ويمضي بتفاؤل الى الموت ، ويمضي بأطمئنان الى العدم ، يمضي بسرور الى النهاية حيث امه اعدت فراشا دافئا لذيذاً ناعما بين احضانها وحيث ستارة الراحة اسدلت على رحلة العذاب والالم والغربة الطويلة التي عاشها وعانى منها كثيراً لقد نزف الرجل كثيراً وتجرع كثيرا وعانى كثيرا فكانت حياته مجموعة الام وعذابات ليس لها حدود :

ولبست ثيابي في الوهم وسريت ستلقاني امي

في تلك المقبرة الثكلى ستقول اقتحم الليلا

من دون رفيق جوعان ؟ اتأكل من زادي

خربو المقبرة الصادي والماء ستنهله نهلا

من صدر الارض الا ترمي

اثوابك ؟ والبس من كفني لم يبل على مر الزمن

عزريل الحائك اذيبلى يرفوه تعال ونم عندي

لك يا اغلى من اشواقي

ويمكن الوصول الى تحديد مجموعة عوامل مشتركة بين السياب وبودلير غير الالم والغربة يستطيع تحديدها من خلال دراستنا لحياة كل منهما :

١- كلاهما انسان منحن على نفسه لم يعش الحياة التي يستحقها

٢- كلاهما يحس بخيبة لا محدودة وانعزال لا يحتمل

٣- كلاهما حكمته مجموعة متناقضات

٤- كلاهما اسهم في الاشتراك بثورات ضد الانظمة الحاكمة انذاك

٥- كلاهما قام بثورة شعرية وكسر قوانين الشعر المتوارثة بودلير قام بثورة الشعر النثري والسياب قام بثورة الشعر الحر

٦- كلاهما افتقد الجو الاسري وحنان الابوين

٧- كلاهما جرب مرارة الغربة والابتعاد عن الوطن

٨- كلاهما عاشا حياة عابثة وحنين جارف الى المرأة لا ينقطع

٩- كلاهما كان يبحث عن نفسه بين حشد هائل من التساؤلات

١٠- كلاهما قاده المرض الى الموت ولعل الغريب ان الاثنين ماتا بالشلل

المصادر

١- بدر شاكر السياب – دراسة في حياته وشعره – د. احسان عباس – دار الثقافة بيروت

٢- السياب – عبد الجبار عباس – الجمهورية العراقية وزارة الاعلام

٣- بودلير بقلمه – صلاح لبكي – المنشورات العربية بيروت

٤- ازهار الشر – بودلير – ترجمة خليل الخوري – دار الشؤون الثقافية بغداد

٥- ديوان بدر شاكر السياب – بدر شاكر السياب – دار العودة بيروت

الهوامش

١- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٢- بدر شاكر السياب د احسان عباس

٣- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٤- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٥- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٦- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٧- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٨- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

٩- بودلير بقلمه – صلاح لبكي

١٠- ازهار الشر – خليل الخوري

١١- السياب – عبد الجبار عباس

١٢- السياب – عبد الجبار عباس

١٣- بدر شاكر السياب - د احسان عباس

١٤- بدر شاكر السياب - د احسان عباس